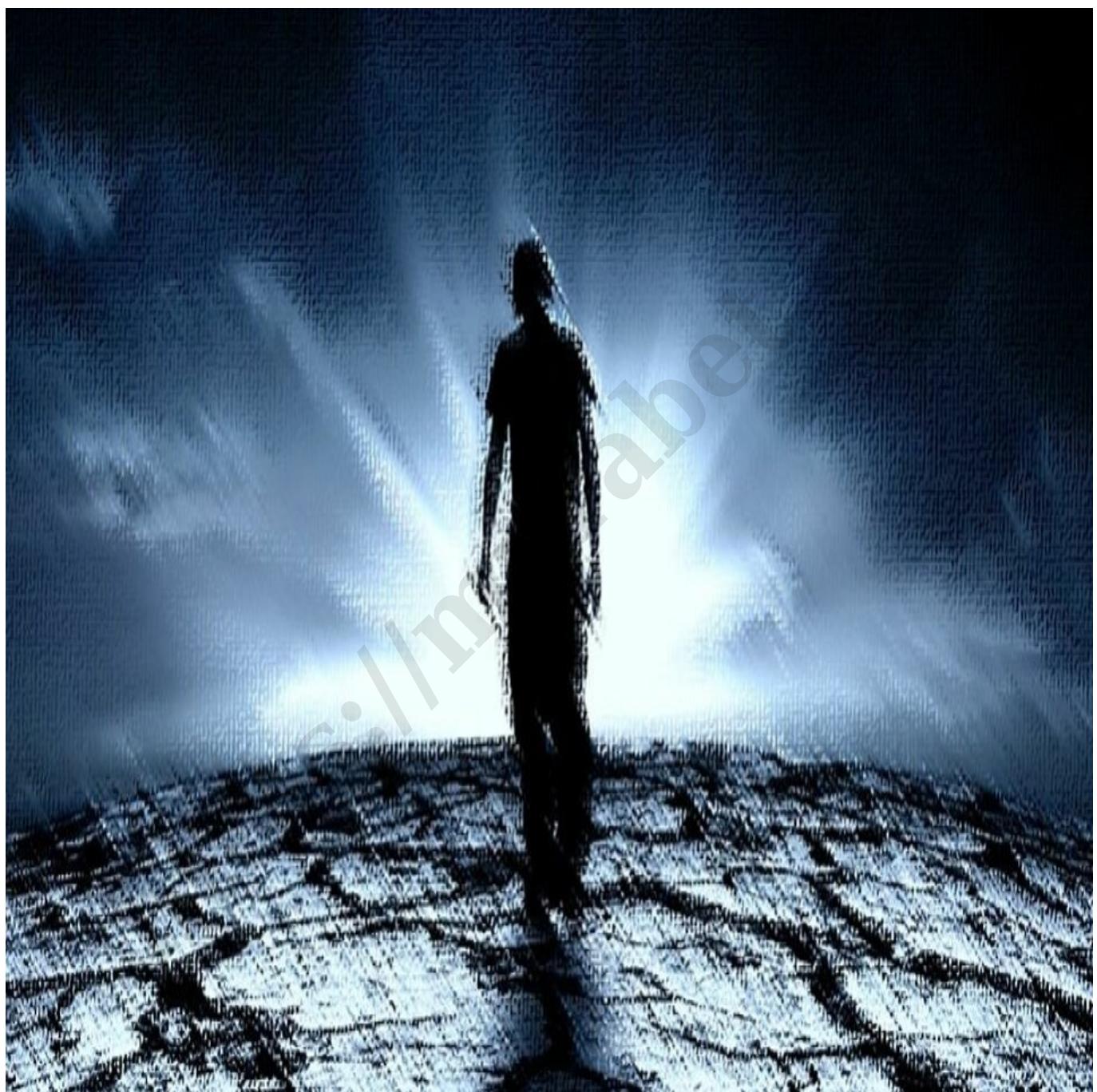


# شبهة الشر

الكاتب: عباس محمود العقاد



## تاريخ إشكالية الشر

أما شبهة الشر، فهي من أقدم الشبهات التي واجهت عقل الإنسان منذ عرف التفرقة بين الخير والشر، وعرف أنهما صفتان لا يتصف بهما كائن واحد، وربما كان تفريق الإنسان الهمجي بين شعائر السحر وبين شعائر العبادة مقدمة الحلول الكثيرة التي عالج الإنسان البدائي أن يحل بها هذه المشكلة العصية، ثم ترقى الإنسان في معارج الحضارة والإدراك فاهاهتدى إلى حل آخر أوفى من هذا الحل الساذج وأقرب إلى المعقول، وذلك حيث آمن باللهين اثنين، وسمى أحدهما بالله النور، وسمى الآخر بالله الظلام، وجعل النور عنواناً لجميع الخيرات، والظلم عنواناً لجميع الشرور.

إلا أن هذا الحل -على ارتقائه ووفائه بالقياس إلى الحلول البدائية في عقائد القبائل الهمجية- لن يرضي عقول المؤمنين بالتوحيد، ولن يحل لهم مشكلة الشر في الوجود، ولا يزال في عرفهم حتى اليوم ضريراً من الكفر يشبه جحود الجاحدين وتعطيل المعطّلين.

ولعلنا لم نطلع على حل لهذه المشكلة العصية أوفى من الحل الذي نطلق عليه اسم حل الوهم، ومن الحل الذي نطلق عليه اسم حل التكافل بين أجزاء الوجود.

## حل الوهم

وخلصة حل الوهم أن القائلين به يعتقدون أن الشر وَهُمْ لا نصيب له من الحقيقة، وأنه عَرَضٌ زائل يتبعه الخير الدائم. ومن الواضح أن هذا الحل لا يفضي إلى إشكال ولا يُعني عن التماس الحلول الأخرى التي تريح ضمير المعتقد

بـه فضلاً عن المـعـتـرـضـينـ عـلـيـهـ؛ إـذـ لـاـ نـزـاعـ فـيـ تـفـضـيلـ اللـذـةـ الـمـوـهـومـةـ عـلـىـ الـأـلـمـ الـمـوـهـومـ، وـلـاـ يـزـالـ الـاعـتـرـاضـ عـلـىـ الـأـلـمـ لـغـيـرـ ضـرـورـةـ قـائـمـاـ فـيـ الـعـقـولـ ماـ دـامـ فـيـ الـإـمـكـانـ أـنـ تـحـلـ لـذـاتـنـاـ الـمـوـهـومـةـ مـحـلـ الـأـلـمـانـ الـمـوـهـومـةـ.

## حل التكافل

وـخـلـاـصـةـ الـحـلـ -ـالـذـيـ نـطـلـقـ عـلـيـهـ اـسـمـ حلـ التـكـافـلـ بـيـنـ أـجـزـاءـ الـوـجـودـ.ـ أـنـ الـمـعـتـقـدـيـنـ بـهـ يـرـوـنـ أـنـ الشـرـ لـاـ يـنـاقـضـ الـخـيـرـ فـيـ جـوـهـرـهـ،ـ وـلـكـنـهـ جـزـءـ مـتـمـ لـهـ،ـ أـوـ شـرـطـ لـازـمـ لـتـحـقـيقـهـ؛ـ فـلـاـ مـعـنـىـ لـلـشـجـاعـةـ بـغـيـرـ الـخـطـرـ،ـ وـلـاـ مـعـنـىـ لـلـكـرـمـ بـغـيـرـ الـحـاجـةـ،ـ وـلـاـ مـعـنـىـ لـلـصـبـرـ بـغـيـرـ الشـدـةـ،ـ وـلـاـ مـعـنـىـ لـفـضـيـلـةـ مـنـ الـفـضـائـلـ بـغـيـرـ نـقـيـصـةـ تـقـابـلـهاـ وـتـرـجـحـ عـلـيـهـاـ،ـ وـقـدـ يـطـرـدـ هـذـاـ القـوـلـ فـيـ لـذـاتـنـاـ الـمـحـسـوـسـةـ؛ـ يـطـرـدـ فـيـ فـضـائـلـنـاـ الـنـفـسـيـةـ،ـ وـمـطـالـبـنـاـ الـعـقـلـيـةـ؛ـ إـذـ نـحـنـ لـاـ نـعـرـفـ لـذـةـ الشـبـعـ بـغـيـرـ الـأـلـمـ الـجـوعـ،ـ وـلـاـ نـسـتـمـتـعـ بـالـرـيـيـ مـاـ لـمـ نـشـعـرـ قـبـلـهـ بـلـهـفـةـ الـظـمـأـ،ـ وـلـاـ يـطـيـبـ لـنـاـ مـنـظـرـ جـمـيـلـ مـاـ لـمـ يـكـنـ مـنـ طـبـيـعـتـنـاـ أـنـ يـسـوـعـنـاـ الـمـنـظـرـ الـقـبـيـحـ.

## تساؤلات حول حل التكافل

وـهـذـاـ الـحـلـ -ـحـلـ التـكـافـلـ بـيـنـ أـجـزـاءـ الـوـجـودـ.ـ أـوـفـيـ وـأـقـرـبـ إـلـىـ الـإـقـنـاعـ مـنـ جـمـيعـ الـحـلـولـ الـتـيـ عـوـلـجـتـ بـهـاـ هـذـهـ الـمـشـكـلـةـ عـلـىـ أـيـدـيـ الـحـكـمـاءـ أـوـ عـلـىـ أـيـدـيـ فـقـهـاءـ الـأـدـيـانـ،ـ وـلـكـنـهـ لـاـ تـعـنـيـ الـحـائـرـ الـمـتـرـدـدـ عـنـ سـؤـالـ لـاـ بـدـ لـهـ مـنـ جـوابـ،ـ وـهـوـ:ـ لـمـاـذـاـ كـانـ هـذـاـ التـكـافـلـ لـزـاماـ فـيـ طـبـيـعـةـ الـوـجـودـ؟ـ وـلـمـاـذـاـ يـتـوقـفـ الـشـعـورـ بـالـلـذـةـ عـلـىـ الـشـعـورـ بـالـأـلـمـ،ـ أـوـ يـتـوقـفـ تـقـدـيرـ قـيـمـةـ الـفـضـيـلـةـ عـلـىـ وـجـودـ الـنـقـيـصـةـ وـضـرـورـةـ الـاـشـمـئـازـ مـنـهـاـ؟ـ أـلـيـسـ اللـهـ بـقـادـرـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ؟ـ أـلـيـسـ مـنـ الـأـشـيـاءـ الـتـيـ يـقـدـرـ عـلـيـهـاـ أـنـ يـتـساـوـيـ لـدـيـهـ خـلـقـ الـلـذـةـ وـخـلـقـ الـأـلـمـ؟ـ أـلـيـسـ خـلـقـ الـلـذـةـ أـوـلـىـ بـرـحـمـةـ الـإـلـهـ الرـحـيمـ مـنـ خـلـقـ الـأـلـمـ،ـ كـيـفـ كـانـ مـوـقـعـهـ مـنـ التـكـافـلـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـلـذـاتــ؟ـ

وعندنا أن المشكلة كلها بعد جميع ما عرضنا من حلولها إنما هي مشكلة الشعور الإنساني، وليس -في صميمها- بالمشكلة الكونية.

وهنا نعود إلى الباب الذي نستفتح به مسالك هذه المشكلات، ونسائل أنفسنا: إذا كان الإله الذي توجد النعائص والآلام في خلقه إلها لا يبلغ مرتبة الكمال المطلق، فكيف يكون الإله الذي يبلغ هذه المرتبة في تصورنا وما ترتضيه عقولنا؟

أيكون إلها قديراً ثم لا يخلق عالماً من العوالم على حالة من الحالات؟ أيكون إلها قديراً يخلق عالماً يماثله في جميع صفات الكمال؟

هذا وذاك فرضان مستحيلان أو بعيدان عن المعقول، كلّ منهما أصعب فهماً وأعسر تصوراً من عالمنا الذي ننكر فيه النعائص والآلام.

فاما الإله القدير الذي لا يخلق شيئاً، فهو نقيبة من نعائص اللفظ لا تستقيم في التعبير، بل استقامتها في التفكير؛ فلا معنى للقدرة ما لم يكن معناها الاقتدار على عملٍ من الأعمال.

واما الكمال المطلق الذي يخلق كمالاً مطلقاً مثله، فهو نقيبة أخرى من نعائص اللفظ لا تستقيم كذلك في التعبير، بل استقامتها في التفكير؛ فإن الكمال المطلق صفة منفردة لا تقبل الحدود ولا أول لها ولا آخر، وليس فيها محل لها هو كامل وما هو أكمل منه. ومن البديهي أن يكون الخالق أكمل من المخلوق، وألا يكون كلاهما متساوين في جميع الصفات، وألا يخلو المخلوق من نقص يتنتزه عنه الخالق؛ فاتفاقهما في الكمال المطلق مستحيل يمتنع على التصور، ولا يحل تصوره مشكلة من المشكلات. وأي نقص في العالم المخلوق، فهو حقيق أن يتسع لهذا الشر الذي نشكوه، وأن يقترن بالآلام الذي يفرضه الحرمان على المحروميين، وبخاصة إذا نظرنا إلى الأجزاء المتفرقة التي

لابد أن يكون كل جزء منها قاصراً عن جميع الأجزاء، وأن يكون كل شيء منها مخالفًا لما عداه من الأشياء.

فوجود الشر في العالم لا ينافق صفة الكمال الإلهي ولا صفة القدرة الإلهية، بل هو -ولا ريب- أقرب إلى التصور من تلك الفروض التي يتخيّلها المنكرون والمترددون ولا يذهبون معها خطوة في طريق الفهم وراء الخيال المبهم العقيم.

### مدلول القدرة الإلهية

وقد يختلف مدلول القدرة الإلهية ومدلول النعمة الإلهية بعض الاختلاف في هذا الاعتبار؛ فمدلول القدرة الإلهية يستلزم -كما تقدم- خلق هذا العالم الموجود، ولكن مدلول النعمة الإلهية يسمح لبعض المتشائمين أن يحسبوا أن ترك المخلوقات في ساحة العدم أرحم بها من إخراجها إلى الوجود، ما دام الألم فيه قضاء محتم على جميع المخلوقات. ومهما يكن من شيوخ التشاوُم بين طائفة من المفكرين، فليس تفسير النعمة الإلهية بترك المخلوقات في ساحة العدم تفسيرًا أقرب إلى المعقول من تفسير هذه النعم الإلهية بإنعام الله على مخلوقاته بنصيب من الوجود يبلغون به مبلغهم من الكمال المستطاع لكل مخلوق.

وليس الشر إذْ مشكلة كونية ولا مشكلة عقلية إذا أردنا بالمشكلة أنها شيء متناقض عَصِيٌّ على الفهم والإدراك، ولكنه في حقيقته مشكلة الهوى الإنساني الذي يرفض الألم ويتمنى أن يكون شعوره بالسرور غالباً على طبائع الأمور.

وإذا كانت في هذا الوجود حكمته التي تطابق كل حالة من حالاته، فلا بد من حكمته فيه تطابق طبيعة ذلك الشعور، ولا نعلم من حكمته تطابق طبيعة ذلك الشعور غير الدين.

إن الشعور الإنساني في هذه المشكلة الجلّي يتطلب الدين؛ فهل ثمة مانع يمنعه من قبل العقل أو من قبل المعرفة التي يكسبها من تقدُّمه في العلم والحضارة؟ هنا يستطرد بنا الكلام على مشكلة الشر إلى الكلام على مشكلة الدين أو مشكلة التدين في جملته، وخلاصتها — كما قدمنا — عند المترددين والمعطّلين أن الأديان قد اختلطت قديماً بكثير من الخرافات، وأن العقل يتعرّض عليه أحياناً أن يوفق بين عقائد الدين وحقائق المعرفة العلمية.

---

المصدر:

١. عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص 9

---

الكلمات المفتاحية:

#الشر

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.

---